أنيس منصور يكتب من واشنطن

١٢ فبراير ١٩٧٨
مجلة أكتوبر

- عندما قال بيجن : كل شيء قابل للتفاوض كان يقصد كل البديهات أيضاً
- أكثر من رأى فى إسرائيل رأى الحكومة ٠٠ ورأى الوزراء إنها ٠٠ لعبة تعـدد المقاعد التى يجلس عليها المفاوض الإسرائيلى!
- فى أسوان ٠٠ قال كارتر للسادات : أنت تنافسنى فى أمريكا
- إسرائيل وليبيا٠٠ تساعدان أثيوبيا، فطلب السادات مساعدة الصومال!
- تصفية القضية الفلسطينية بإعلان الدولة المارونية فى لبنان، وضم الضفة الغربية للأردن
- إعلان المنظمة أنها لم توكل مصر فى الدفاع عن فلسطين : يـدفعنا إلـى الحـل المنفرد!
- لا حل : إلا إذا تعلم الحصان٠٠ كيف يأكل اللحم!

ويرفضونكم ٠٠ ولا يريدون أن يضعوا أيدهم فى أيدكم٠٠ ومن الممكـن أن يطـول النقاش اللفظى إلى غير نهاية ولذلك كـان لابـد أن نـضع نهايـة للمفاوضـات العـسكرية والسياسية٠٠ فلا تختلف هذه اللجنة عن الأخرى٠٠ لا فى مواقفنا ٠ ولا فى مواقفهم٠

وقد أدت هذه المفاوضات المنقطعة إلى شعور باليأس وخيبة الأمل٠٠ وتنبـه النـاس، بعد أن نسوا ذلك بعض الوقت، إلى أننا نفاوض اليهود٠٠ أكبر سماسرة فى التـاريخ٠ وأننـا يجب أن نفطن إلى هذه الحقيقة كلما جلسنا إليهم٠ وأنه مـن الـصعب أن نغيـر طبـاعهم أو تكوينهم أو أن نزيل رواسب التاريخ الأسود المرير، فى لقاء واحـد٠ إنـه شـيء صـعب٠ فالمبادرة قد غيرت "مسار" الأشياء، ولكنها لم تغير "طبائع" الأشياء٠٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمبادرة الخاطفة الباهرة قد اختصرت من سنوات الحوار والمفاوضات السرية والعلنية عشرين عاما٠ ولكننا لم نسأل أنفسنا : اختصرت عشرين عاما من كم من الأعوام؟

أختصرت عشرين من ثلاثين؟ إذن فأمامنا عشر سنوات٠٠ أو هل اختصرت عشرني عاما من ٢٥ عاما، إذن أمامنا خمس سنوات٠٠

أى أن الباقى أمامنا سنوات طويلة٠ وقد نسينا ذلك٠

ونسينا أن فك الإشتباك الأول قد استغرق ٢٦ جلسة٠ مع أن فض الإشتباك قد أسفر عن مساحات ضئيلة من الأرض٠ وكذلك فك الإشتباك الثانى٠٠ وأن أمريكا نفسها قد أمضت سنوات تبحث عن شكل "ترابيزة" المفاوضات مع فيتنام٠٠ وأن أمريكا نفسها وبحلال قدرها وجبروتها لم تنته بعد من مفاوضاتها مع بناما، منذ ١٣ عاماً – أقوى دولة فى أمريكا وفى العالم، مع أصغر دولة فى أمريكا كلها!

وتساءل اليهود: لماذا هم عصبيون هؤلاء المصريون؟ لماذا يفرضون مزاجهم علينا٠٠ لماذا هم يتعجلون النتائج ولا يرون إلا مشاكلهم دون أن ينظروا إلى مشاكلنا وأحزابنا الدينية والسياسية و "تركيبتنا" الاجتماعية الشديدة التعقيد؟ ولكن إسرائيل كاذبة فى هذا الموقف، لأنها لم تكتف بوضع المشاكل أمام المفاوضين، وإنما راحت تفتعل المعارك ٠ كانت تهاجم الصحف المصرية وتهاجم المفاوض المصرى وخبراء وزراء الخارجية المصرية ٠٠ ثم تتهم الإعلام المصرى كله بأنه على اليهود وعدو لإسرائيل٠٠ كأن العداء لليهود غلطة يجب التكلم عنها٠ طبعاً نحن كمسلمين أعداء لليهودية ٠٠ ونحن كمصريين أعداء لإسرائيل لا شك فى ذلك ٠ وليس من المعقول أن شعبنا أو دولة تحتل أرضنا ولا أن نقدس دينا يرى أن احتلال أرضنا واجب علينا وحق له!

ومثل هذه العبارات كان اليهود يستخدمونها ضد الأوروبيون لتخويفهم ٠ ولكن الذى بيننا وبين إسرائيل حرب طويلة واستعداد لقتال طويل٠٠ ولكننا لا نريد حربا، وإنما سلاما ٠٠ فإذا كانوا لا يريدون الحرب وفى نفس الوقت يريدون السلام٠٠ فيجب ألا نصدقهم ٠ لأنهم هم بشر، ولأنهم قد تعبوا من كراهية العالم كله لهم٠ فهم على ميزانية المواطن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأمريكى المسيحى واليهودى أيضاً. صداع فى رأس البشرية. فالناس لديهم همومهم الكثيرة. والبشرية من أولها لآخرها يجب ألا تموت من مناحم بيجين والآخرين من ذوى الأعناق الغليظى وأصحاب الهوس الدينى.

وعندما اتجهت مصر إلى أمريكا لكى تعاون حل هذه المشاكل التى تتوالد بيننا وبين إسرائيل كان سبب ذلك أن أمريكا لها علاقة خاصة بإسرائيل. وهذه العلاقة معروفة . وهى علاقة مبدئية- أى أنه من مبادىء السياسة الأمريكية معاونة إسرائيل والإبقاء عليها جميع الأحوال. ولا أحد يعترض على ذلك وحتى إذا اعترض، فإنه لا يقدر على السياسة الأمريكية.

وما دامت أمريكا تعطى لإسرائيل كل ما تحتاج من مال وطعام وسلاح، فهى تستطيع أن تضع على كتفيها وأن تفتح عينيها وأن تبصرها بخطورة الموقف المتشدد الذى تتخذه إسرائيل على المصالح الأمريكية فى المنطقة، وعلى المصالح الإسرائيلية.

وإسرائيل تعلم أنها "طفل رضيع" على صدر أمريكا هذا الطفل لا يريد أن ينفطم مطلقا. وإنما يظل يرضع والعسل والذهب والفانتوم إلى الأبد.. وفى نفس الوقت يبكىويصرخ خوفا من المائة مليون عربى والسبعمائة مليون مسلم، وألفى مليون مسيحى عندهم من المتاعب أضعاف ما عند الشعب الإسرائيلى!

ولا شىء يجعل إسرائيل، حكومة فقط، تفقد إلا الإتجاه إلى أمريكا. فإسرائيل تؤكد أن أمريكا ليست عليها وأن أمريكا لا حق لها فى أن تتدخل فى سياسة سيادتها. وأن إسرائيل دولة مستقلة ذات سيادة وأمريكا لأن لها مشاكل أخرى غير الضغط اليهودى الإعلامى والمالى والسياسى، تؤكد هى الأخرى أن لها حدودا فى الحركة وأن لها حدوداً فى الضغط. وأنها لا تستطيع إلا القليل، وأن علينا أن نتفاهم معا، أى دون أن يكون هناك طرف ثالث.

وهى عقدة الدولة الصغيرة جداً، القوية بسبب دولة كبيرة جداً.

ولذلك انزعجت الحكومة الإسرائيلية من أن الرئيس السادات قد أتجه بمشاعره إلى الشعب الأمريكى وإلى الجاليات اليهودية فى أمريكا، وأحست الحكومة الإسرائيلية أن الرئيس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السادات قد نقل القضية من محكمة صغيرة فى الإسماعيلية أو القاهرة أو القدس إلى محكمة دولية على كل شاشات التليفزيون وفى كل بيت٠ لأن السادات يدعو للسلام الذى يحلم به كل إنسان وكل مجتمع وكل دولة وكل الشعب اليهودى والشعب المصرى والعربى أيضاً٠

وتخفيفاً لهذه "العقدة" فإن الحكومة الأمريكية حاولت أن تتفادى أن تكون طرفا فى هذه القضية – وهو افتراض من الصعب تصديقه٠ لأنها بالفعل طرف٠ ولأن السلاح الهائل الذى تعطيه لإسرائيل هو الذى جعلها فى حالة حرب مستمرة وفى حالة تصعيد دائم، وتشبث بالأرض طلبا للسلام!

ولذلك فإذا كانت أمريكا جادة فى دعوى السلام، فتمسك يدها عن إعطاء السلاح بلا مبرر لإسرائيل- إلا إذا كانت إسرائيل تريد أن تحارب العرب، وإلا أن تبيع السلاح لإقريقيا لكى تجعل هناك نقطا ساخنة فى العالم تهدد بها أمريكا وشغل العالم عن النزاع العربى الإسرائيلى٠

ولذلك طالب الرئيس السادات بنفس الأسلحة لمصر٠٠ وطالب أيضاً بإعطائه أسلحة لكى يساعد بها الصومال وتشاد٠ لأن إسرائيل وليبيا والسوفيت يساعدون أثيوبيا٠ وكان الرئيس السادات قد شرح للرئيس كارتر فى أسوان موقف الصومال٠ وعرض عليه حاجة الرئيس سياد برى إلى الأسلحة٠ وطلب الرئيس كارتر توضيحا لموقف الرئيس الصومالى٠ ولذلك أعلن الرئيس الصومالى فى بيان بعد ذلك موقفه بوضوح٠

وبعد ذلك قدمت له ألمانيا الغربية معونة عسكرية٠ ويجزء من هذه المعونة اشترى أسلحة من مصر، وكذلك تلقى معونات من السعودية ومن إيران٠٠ وأعلن موسى ديان منذ أيام أن إسرائيل سوف نمضى فى مساعدة أثيوبيا٠

وقال : لأن أثيوبيا صديق قديم، ولأن المسلمين سوف يحتلون البحر الأحمر، فلا يبقى أمام إسرائيل سوى أثيوبيا المسيحية٠٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما أن الرئيس السادات قد ناقش الموقف فى "القرن الإفريقى" مع الرئيس كارتر٠ وقد أضيفت الفقرة الخاصة بالقرن الأفريقى إلى البيان الذى أعلنه كارتر٠ وجاءت هذه الإضافة بعد أن طبع البيان، ولكن قبل توزيعه على أجهزة الإعلام العالمية٠٠

ولا تزال أمريكا بعيدة عن القارة الأفريقية وعن الأحداث الملتهبة الدامية التى تجرى، وسوف تزداد التهاباً فى الشهور القادمة٠٠

وعندما زار الرئيس السادات أمريكا فى المرة السابقة، شرح للرئيس كارتر ماذا يجرى فى زائير٠ وكان يحمل معه تفويضا بهذا الحديث من الرئيس الفرنسى ديستان ومن الملك الحسن الثانى عاهل المغرب٠ وتدخلت فرنسا والمغرب ومصر فى زائير٠ وأنقذت الحكومة الحالية من التسلل والتمرد الشيوعى وفى هذه المرة تلقى الرئيس السادات برقيتين عاجلتين من الصومال وتشاد٠ وكان من نتيجة ذلك أن بحث الرئيس السادات مع الرئيس كارتر قضية القرن الأفريقى، وأعلن الرئيس السادات حاجته إلى السلاح، تعادلا مع إسرائيل وتخفيفا للتصعيد، ولأن له التزامات أفريقية٠

وحرصا من أمريكا على تخفيف درجة حرارة النزاع العربى الإسرائيلى، نقلت إلى الطرفين ضرورة التزام الهدوء الإعلامى ووقف " الحرب الإعلامية الصاعقة" ٠٠ ولذلك اختفت التصريحات على أعلى المستويات٠ وفى نفس الوقت اختار الرئيسان كارتر والسادات عزلة كاملة بعيدة عن العدسات والميكروفونات٠ وجلس الرجلان أكثر من خمسين ساعة معا وقد أحاطهما الجليد وقوات البحرية والصمت أيضاً٠ وأرسلت إسرائيل موشى ديان ليكون فى أوروبا ثم ليصل إلى أمريكا قبيل نهاية زيارة الرئيس السادات٠

وأعلنت إسرائيل أنها مضطرة أن تواجه الحملة الإعلامية الضخمة التى يشنها الرئيس السادات على إسرائيل فى أمريكا وفى أوروبا أيضاً٠ ثم إن إسرائيل شكت إلى أمريكا أن السادات قد أصبح نجما شعبيا بسبب الأحاديث الكثيرة التى يدلى بها٠

ولم تعرف أمريكا ما الذى تستطيع أن تفعله، فالصحف حرة وكذلك شركات التليفزيون٠ ثم إن السادات لأنه أصبح شعبيا، فلا يستطيع أى جهاز أن يتجاهله٠ بل إن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محطات التليفزيون تعلن فى الصحف عن أنها سوف تذيع نصف حديث أو كل حديث السادات، لكى تتجه العيون إلى هذا البرنامج وما يسبقه وما يجىء بعده من إعلانات تجارية٠ وقد أعلن الرئيس كارتر فى أسوان للرئيس السادات قائلاً: إنك الآن تنافسنى فى أمريكا! بل إنهم فى أمريكا قد انتقدوا المذيع التليفزيونى الشهير دافيد برانكل لأنه أنهى حديثه مع السادات قائلاً: وسوف نوجه نفس الأسئلة إلى مناجم بيجين عندما يعود إلى أمريكا بعد شهر أو شهرين٠

وقالوا: ما كان ينبغى له أن يقول ذلك ٠٠ كأنه يعتذر للمشاهدين عن حديثه مع السادات٠٠

ولكن الحقيقة، ومن الناحية الفنية، أنه على حق٠٠ لأنه يريد أن يربط مشاهديه بهذا البرنامج، لكى تكتمل أمامهم الصورة بكل أطرافها٠٠ ولكن هذا الاعتراض من الأمريكان على البرنامج، يؤكد أن عطفهم على قضية السادات والسلام أصدق٠ وأنهم يرون أن بيجين ليس جاداً٠ وأنه يناور ويداور ويحاور٠ وعندما نشر الرئيس السادات خطابا طلبته صحيفة "ميامى هيرالد" حاول اليهود فى إسرائيل وفى أمريكا أن يفسدوا هذه المبادرة من السادات٠ فقالوا: إنه يتجه إلى الشعب الأمريكى بدلا من أن يتجه إلى الحكومة الأمريكية أو الكونجرس٠٠ ويتجه إلى يهود أمريكا كأنهم " أولياء أمور" يهود إسرائيل٠٠ إنه يحاول أن يوقع بين اليهود هنا واليهود هناك٠٠ ثم ما لبث الحاخام شندلر أن أرسل خطاباً وكذلك فعل بيجين٠٠

ولم يتضايق السادات لذلك لأنه يريد أن يعرض القضية وأن يرى الناس كل جوانبها، وأن يحكموا علينا أن يحكموا لنا: أينا يريد السلام حقا؟ وأينا يريد ألا تكون نار ودخان ودماء ودموع؟

وحاولت أمريكا أن تتفادى المطبات التى يمتلىء بها الطريق بين القاهرة والقدس وبينهما وبين واشنطون٠ ولذلك دعت الطرفين إلى الصبر، حتى تتمكن أن تعيد التفاهم بين مصر واسرائيل٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وألتزمت أمريكا جانب الحذر٠٠

فعندما طلب الرئيس السادات إلى أمريكا أن تكون "حكما" بين الطرفين ٠٠ اختارت أمريكا أن تكون "وسيطا" ٠٠ أو "واسطة خير" حتى لا تعود إسرائيل إلى الصراخ بأن أمريكا ليست وصيا عليها٠٠

وأمريكا ليست أقل حيرة منا مع إسرائيل، فإسرائيل تكوين عجيب وغريب من البشر٠٠ فلا أحد يعرف لها رأيا واحداً سياسياً أو دينيا فى أية قضية ٠٠ وإسرائيل دولة عندها حساسية لدرجة الجنون٠

وربما كان آبا إيبان هو أوضح من وصف هذه الحالة فى كتابه الأخير "قصة حياتى"٠ فعندما تحدث آبا إيبان عن مقدمات حرب أكتوبر سجل آراء الزعماء الإسرائيليين وكيف إنها تضاربت وتناقضت بعد ذلك٠٠

مثلا: موشى ديان أعلن فى مايو ١٩٧٣ فى التليفزيون البريطانى: إن إسرائيل يجب أن تبقى على الضفة الغربية إلى الأبد٠ أما الشعب الفلسطينى فعليه أن يختار له وطنا فى سوريا أو الأردن أو العراق٠٠

وفى ٣٠ يوليو ١٩٧٣ أعلن ديان لمجلة تايم: لا شىء إسمه فلسطين!

وفى احتفالات إسرائيل بعيد قلعة "الماسادا" أعلن ديان: أن دولة إسرائيل قوية طويلة عريضة من نهر الأردن إلى قناة السويس!

قال آبا إيبان: وهذا موقف غريب٠ فسياسة الدولة الرسمية تختلف تمام عن سياسة وزرائها٠ فعندما كان ديان يعلن كل ذلك، كانت الحكومة الإسرائيلة تعلن تمسكها بالقرار ٢٤٢ وكانت الحكومة الإسرائيلة ترى أيضا: أن العرب إذا لم يفلحوا فى استعادة أرضهم بالحرب أو بضغط الدول الكبرى، فسوف يجدون أنفسهم مضطرين إلى التفاوض معنا!

ومعنى ما يقوله آبا إيبان هو أن هناك رأيين وثلاثة وأربعة فى إسرائيل: رأى الدولة الرسمى المعلن٠ ورأى الوزراء أو زعماء الأحزاب٠٠ فلا أحد يعرف أى هذه الآراء هو الذى تتمسك به الدولة٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإنما الدولة ترى أن تكون هناك آراء كثيرة ليحارب الخصم أو الصديق فـــى معرفـــة وجهة نظر إسرائيل٠ وبذلك تفاوض إسرائيل من مقاعد متعددة حول مائـــدة واحـــدة٠ وهـــذا بالضبط ما تفعله إسرائيل٠ وما فعلته بالنسبة للمـــستعمرات فالدولـــة تقـــول: لا مـــستعمرات والوزراء يقولون: بل مزيد من المستعمرات وأمريكا تعلنه أن إنشاء المستعمرات ليس عمـــلا مشروعا٠٠

وأمريكا تعلم مدى حساسية لموقف٠٠ وتعلم إنزعاج الطرفين من الضغط عليهمـــا٠٠ وربما كان ذلك يفسر الإنسحاب المفاجىء للوفد المصرى من مباحثات القدس٠ فقد كان وزير خارجية أمريكا يحاول التوفيق بين الطرفين٠ ثم فوجىء بالإنسحاب ٠ وحاولت إســـرائيل أن تبرز أن الإنسحاب لفانس٠ ولكن فى نفس الوقت أحسست أمريكا أنها نفس المشكلة: أن كـــلا الطرفين يريد أن يؤكد بصفة مستمرة لا يتصرف من عقل أمريكا، ولا بأوامرها٠٠

وإن كان الرئيس السادات قد أدرك قبل ذهاب الوفـــد المـــصرى إلـــى القـــدس٠ أن تصريحات قادة إسرائيل تؤكد لنا صعوبة الوصول إلى مبادىء عامة ٠ وقد حدث ما توقعـــه٠ ولكنه أن يمشى فى الطريق حتى نهايته، وإن كان يعرف مقدم ما سوف يحدث ٠ ولكنـــه لـــم يستبعد أن يحدث شىء ليس حسابه٠ كأن يلين اليهود أو يستسلموا قليلا للـــضغط العـــام فـــى إسرائيل وفى العالم٠

وجاء استئناف لقاء اللجنة العسكرية تأكيدا وتجديدا لضرورة استمرار الحوار٠ ولكـــن فى درجة حرارة منخفضة فترات متباعدة٠ حتى يعتاد الطرفان على هـــذا "الجـــو" الهـــادىء لحوار طويل٠ ومن الضرورى أن يكون هادئاً ومن المنطقى أن يكون طويلاً٠٠

وهناك اجتهادات عصبية لحل المشكلة المعقدة الأطراف الغامضة الجوانب٠

من بين هذه الاجتهادات: أن تقوم سوريا بابتلاع جانب من لبنان يضم الفلـــسطينيين٠ ويعلن قيام دولة لبنان المارونية المستقلة٠٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد وعدت إسرائيل بمساندة الدولة الجديدة٠ وفى العام الماضى وعرض وزير خارجية أمريكا على الرئيس السادات تعهداً كتابيا من مناحم بيجين بأنه سوف يساند هذه الدولة وأن هذا التعهد أخلاقى٠ وأنه جاء بعد إلحاح من زعماء لبنان بقيام هذه الدولة!

وسوف تبتلع الأردن الضفة الغربية بالاتفاق مع إسرائيل وتعهد منها أيضاً٠ وخصوصا أن العلاقات بين الأردن وإسرائيل تتقطع فى أى وقت٠ وعلى أعلى المستويات!

وهناك اجتهاد آخر هو أن تعلن منظمة التحرير الفلسطينية إنها تركل مصر فى الدفاع عنها٠ وعلى ذلك فليس لأحد الحق فى أن يتحدث بإسم الشعب الفلسطينى٠ ولما كانت مصر ترى أن المنظمة هى الممثل الشرعى٠ فسحب هذا التوكيل من الممثل الشرعى، يعنى أن المنظمة سوف تترافع عن نفسها٠٠ ويعنى أيضاً أن مصر يجب أن تنشغل بانسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء٠

وهذا من شأنه أن يجعل مصر تدخل فى مفاوضات مع إسرائيل من أجل حل منفرد٠ ورغم أن مصر تفادت الحل للتفرد فإن المنظمة ودول الرفض معها قد دفعت مصر إلى ذلك دفعا٠

ويمضى أصحاب هذا الإجتهاد إلى القول بأن مصر ستدعو لمؤتمر قمة عربى وتعرض فيه تفاصيل ما حدث٠ وأنها مضطرة إلى أن تحل وحدها٠٠ وأن مصر لديها من المشاكل الداخلية ما تنوء به الجبال٠ وأن الشعب المصرى قد تحمل كثيرا جداً، وأن من حقه أن يستريح، وأنه لا يطلب تعويضا ماليا من أحد وإنما تكفيه موارده لو أنها اتجهت جميعا إلى البناء والتعمير٠٠

وهناك اجتهاد بأنه من الممكن أن يسقط بيجين٠ وتجىء حكومة أكثر اعتدالاً، وأن هذه الحكومة المعتدلة سوف تمضى بخطوات أوضح وأوسع إلى السلام٠ ولكن الذى يتابع تاريخ الحكم فى إسرائيل يجد أن المتشددين يكسبون فى النهاية٠ وأن الشعب الإسرائيلى العنيد سوف يتمسك بيجين٠ والشعب قد أتى به إلى الحكم لأنه متشدد دينيا وسياسيا٠ بل إن الأرقام تؤكد أن شعبيته قد زادت هذه الأيام٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم إن اليهود يعزفون لحنا إسمه : الزمن٠٠

فهم بعد حرب ١٩٦٧ أعلنوا أن العرب سوف يتعادون على الأوضـــاع الحاليـــة٠ أو الحدود العسكرية ٠٠ وسوف تصبح الحدود العسكرية ٠٠ وسوف تصبح الحـــدود العـــسكرية حدودا سياسية ٠٠ وإلى الأبد!

وموشى ديان هو الذى روى فى التليفزيون الإسرائيلى هذه النكتة: أن ملكا إســـرائيلياً كان عنده حصان ٠ وكان يحب هذا الحصان جداً٠ ولكنه حـــزين لأن الحـــصان لا يـــشاركه طعامه٠ فلا يأكل الأرز واللحم٠ فأتى بواحد من الحكماء وطلب إليه أن يعلم الحصان كيـــف يأكل اللحم٠ فأتى بواحد من الحكماء وطلب إليه أن يعلم الحصان كيف يأكل اللحـــم٠ وفكـــر الرجل الحكيم وقال: ممكن يا مولانا٠ وسأله الملك: كم تحتاج من الوقت؟ قال : أحتـــاج إلـــى عشرين عاما! وسأله الملك: ألا ترى أن هذا وقت طويل جداً٠

وكان رد الرجل الحكيم: لو كان خروفا لعلمته ذلك فى خمـــس ســـنوات ٠٠ ولكنـــه حصان يا مولاناّ

ووافق الملك ٠ وذهب الناس إلى الرجل الحكيم يسألونه كيـــف وافـــق علـــى تعلـــيم الحصان أن يأكل لحما٠ وكان رد الرجل: السبب بسيط جداً٠٠ فبعد عشرين عاما٠٠ إمـــا أن يموت الحصان أو يموت الملك أو أموت أنا!

ولهذا السبب فإن مصر حريصة على ألا تقع فى مصيدة (الزمن) وأن تمـــضى نحـــو التسوية للقضية٠ فالذى تريده واضح ولكن الذى تريده إسرائيل ليس واضحاً٠

فهى على المستوى الرسمى تقول كلاما، وعلى ألسنة الوزراء تقول كلاما آخر٠٠

وفى اللجنة السياسية تقول كلاما ثالثا٠ وفى اللجنة العسكرية تقول كلاما رابعـــاً ٠٠ أما الكلام الخامس فهو الذى يقال لنا خارج اللجنتين أو فى الطريق إليهمـــا أو فـــى الحفـــلات الرسمية٠٠

إن إسرائيل يجب أن تكون أوضح وألا تضيع هذه الفرصة النادرة٠ حتـــى لا يتـــورط العالم كله فى مواجهة نووية٠ سوف تكون إسرائيل أولى ضحاياها٠٠ وإذا لـــم تكـــن حـــرب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فسوف تعود إسرائيل إلى إلقاء نفسها فى البحر: بحر الكراهية والحقد والمرارة حتى يهجرها أبناؤها.. أو حتى تتمزق أحزابها السياسية والدينية وتقضى إسرائيل على نفسها، ويصدق عليها كل ما جاء فى التوراة من أنها شعب أستباح دم أبنائه وأعدائه أيضاً.. فأباحت كل الشعوب دمها!

وراحت هذه الحركة تنسف الكبارى والجسور. وتهاجم جنود الإنجليز وتجلدهم علنا فى الطرقات . وتهاجم مخازن الجيش وتستولى على ما فيها من أسلحة. وتسلل إلى المطارات لكى تحطم ما فيها من طائرات.

فلقد كان يهود العالم جميعا يقفون وراء أعمال الإرهاب الصهيونى . ليس بالكلام فقط، وإنما بالمال والسلاح والرجال والعتاد، وفوق كل ذلك بالضغط السياسى على الحكومات المختلفة ولا سيما حكومة الولايات المتحدة..

المائدة المستديرة

لم يتوقف اليهود كثيراً أمام الآثار التى سوف ترتب على عملياتهم الإرهابية فى فلسطين، ولا سيما بعد نسف فندق الملك داود بالقدس حيث قتل المئات تحت أنقاضه. واحترقت ودمرت كل وثائق إدارة الإنتداب البريطانى لدى الرأى العام العالمى، وبصفة خاصة الرأى العام الأمريكى.

فلقد كانوا يعرفون أن الرئيس الأمريكى ترومان يقف إلى جانبهم وهو لا يتوقف عن ممارسة ضغطه على حكومة لندن . لكى توافق على دخول مائة ألف يهودى جديد إلى فلسطين على الفور، كما كان يسعى عن طريق لجنة التحقيق الأمريكية إلى الحيلولة دون انحياز الإنجليز إلى جانب العرب.

وبدأ العرب بعد أن أصبح الوقت متأخراً جداً، يفطنون إلى ضرورة تنظيم مقاومة مسلحة عربية، ضمت رجال أمين الحسينى مفتى فلسطين وابن عمه جمال الحسينى أما الجامعة العربية فإنها كانت لا تزال ماضية فى نشاطها، ولكن على المستوى الدبلوماسى.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعندما افتتح مؤتمر المائدة المستديرة فى شهر سبتمبر ١٩٤٦، لم يستطع بيفن رئيس الوزراء البريطانى أن يجمع فى لندن العرب واليهود وجها لوجه، فاستمر المؤتمر منعقدا بين العرب والإنجليز٠ وفى هذا المؤتمر رفض ممثلوا العرب مشروع التقسيم، وطالبوا بقيام دولة فلسطينية مستقلة لها حكومة موحدة تمثل جميع سكان البلاد٠

وكان العرب يركزون كذلك على عدم منح الجنسية الفلسطينية إلا للذين ولدوا فى فلسطين عندما كانت تحت الحكم العثمانى أو الإنتداب البريطانى، أو الذين حصلوا على هذه الجنسية قبل صدور الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩ أو الذين يثبتون أنهم أقاموا فى فلسطين لمدة عشر سنوات ٠

وفشل المؤتمر فشلا ذريعا إزاء معارضة اليهود للمطالب العربية٠ فأعن بيفن يوم ١٤ فبراير ١٩٤٧ تحويل القضية الفلسطينية برمتها إلى الأمم المتحدة حتى لو اضطرت بريطانيا إلى التخلى عن الإنتداب ومغادرة فلسطين٠

غير أن العرب لم يأخذوا هذا الاحتمال على محمل الجد، إذ لم يتصوروا قط أن بريطانيا تترك بمحض إرادتها أى أرض تسيطر عليها٠٠

القضية فى الأمم المتحدة

وقد ناقش مجلس العموم البريطانى قرار الحكومة يوم ٢٣ من نفس الشهر وفى هذا النقاش ألقى بيفن مسئولية فشله على كاهل الولايات المتحدة٠ نتيجة لإصرار واشنطون على السماح لمائة ألف مهاجر يهودى جدد بدخول الأراضى الفسلطينية٠ ومن قبل أن تتم تسوية القضية وأيد البرلمان البريطانى وجهة نظر الحكومة، وقرر تحويل قضية فلسطين إلى الأمم المتحدة، بغير أن يقترح من جانبه أى حل لها، فكان فى إعلان بريطانيا عجزها عن معالجة ما يجرى فى الإقليم الذى تتولى مهمة الإنتداب فيه، ما شجع المتطرفين اليهود على تكثيف أعمالهم الإرهابية٠

وفى هذا الجو الحافل بالقتل والدماء والإرهاب الذى عم الأرض المقدسة، افتتحت دورة خاصة فى الأمم المتحدة استمرت شهرا كاملا لمناقشة القضية الفلسطينية تلك القضية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التى كان العالم بأسره يرى أنها هى التى ستقيم الدليل على قــوة أو ضــعف هــذه المنظمــة الدولية٠

وهكذا تكونت لجنة تحقيق اختارتها الأمم المتحدة من بين الدول التــى رئــى أن لهــا موقفا محايدا٠ وهى النمسا وكندا وتسيكوسلوفاكيا وجواتميالا والهند وهولندا وإيــران وبيــرو والسويد وارجواى ويوغوسلافيا٠

وعندما وصلت اللجنة إلى فلسطين، وجدت نفسها أمام مــوقفين متعارضــين تمامــا أولهما الموقف العربى الذى تزعمه مفتى فلسطين من مقر إقامته البعيد فــى القــاهرة والــذى يرفض الدخول فى أية مفاوضات وثانيهما الموقف الصهيونى وبدأ منه العكس مــن ذلــك أن اليهود يميلون إلى المصالحة والتوفيق وانتهاج سلوك إيجابى٠

هنا يتبين لنا الفارق بين الأسلوب الذى كان العرب يعالجون به القــضية والأســلوب الذى انتهجه اليهود فبينما كان الأولون يرفضون كل شىء ويظهرون للعالم أنهم تجمدوا علــى هذا الرفض كان اليهود يظهرون الكثير من المرونة ويبدون استعدادا لقبول أى حــل معقــول، ويحاولون اكتساب تعاطف وتفهم كل من يتصل بهم كما حدث مع أعضاء لجنة التحقيق التــى أرسلتها الأمم المتحدة٠

لقد كانوا يستغلون كل موقف لصالحهم، بل أنه عندما غرقت الباخرة (اكسودس) وهى تحمل عددا من اليهود كانوا فى طريقهم سرا إلى فلسطين، عرفوا كيف يثيرون عطف العــالم عليهم واستطاعوا استمالة عدد من أعضاء اللجنة فى مقدمتهم جورجى جارســيا جرانــادوس ممثل جواتيمالا وزميله ممثل أورجواى أما العرب فإنهم لم يفعلوا شيئاً يكسبون به تأييد هؤلاء المندوبين٠

كانت الدوائر المطلعة تعلم أن مناقشات الأمم المتحدة سوف تكــون اختبــارا للــدول العظمى، التى سيكون دورها حاسما فى الموافقة على قرار نهائى للمشكلة وكان موقف أمريكا واضحا إلى جانب إنشاء الدولة اليهودية، على حين أن الإتحاد السوفيتى كان يلتزم فى البدايــة بموقف غير واضح٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فلما جاء دوره فى الكلام وقف مندوبه فى الأمم المتحدة، وكان جروميكو، وبدأ يتحدث عن دولة فلسطينية مستقلة يعيش فيها العرب واليهود وعلى حين فجأة انتقل إلى أن الاتحاد السوفيتى سوف يؤيد التقسيم، إذا تبين استحالة الدولة الموحدة٠

وفى هذه الأثناء، كان العرب ماضين فى انتهاج نفس الموقف السلبى من اللجنة الخاصة واجتمعت اللجنة السياسية التابعة لجامعة الدول العربية فى صوفر بلبنان من يوم ١٦ إلى ١٩ سبتمبر ١٩٤٧٠ ثم أعلنت رفض توصيات لجان الأمم المتحدة٠

وعند هذا الحد أعلنت بريطانيا أنها ستتخلى عن مهمة الإنتداب فى فلسطين، وأن قواتها ستخرج منها يوم أول أغسطس ١٩٤٨ وهو الموعد الذى عدلته بعد ذلك إلى ١٥ مايو٠

يوم التصويت

جرى التصويت على مشروع تقسيم فلسطين فى يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ فى الجمعية العامة التابعة للأمم المتحدة فوافقت عليه ثلاث وثلاثون دولة فى مقدمتها الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى وفرنسا٠٠ على حين امتنعت عن التصويت كل من بريطانيا والصين (الوطنية)٠ وصوتت ضده مر والعراق ولبنان والسعودية وسوريا واليمن وبعض الدول الإسلامية مثل افغانستان وإيران وباكستان وتركيا٠٠٠ إلى جانب الهند وكوبا واليونان٠

وفى مساء ذلك اليوم٠ رقص اليهود مرة أخرى فى شوارع تل أبيب فرحا وسعادة، بينما عم الحزن جميع البلاد العربية، من المحيط حتى الخليج، وتفجر غضب الشعب العربى فى مظاهرات عنيفة ضد الشيوعيين والسوفيت والأمريكيين والمستوطنات اليهودية٠

وكان رد الفعل فى فلسطين أكثر عنفا من ذلك فمن دمشق حيث كان يقيم المفتى الحسينى (ولا يدرى أحد لماذا يكون قائد أى حركة بعيدا عن مركزها) استطاع أن ينظم حركة المقاومة العربية، التى اتخذت قرارا٠٠ بالإضراب العام ثلاثة أيام٠٠

وفى خلال هذه الأيام الثلاثة، جمع اليهود عتادهم وأسلحتهم التى كانت مبعثرة فى سائر المستعمرات، لكى يوجهوها هذه المرة إلى عرب فلسطين، الذين كانت أسلحتهم حتى ذلك الحين مجرد بنادق قديمة، ولافتات تحمل الشعارات٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com